اكتشاف اثر فينيقي

الاب سبستيان رتڤال اليسوعي مدرّس الآثار الكتابية في مكتبنا الشرقي

هو أثر جديد تزفّهُ الى قرّائنا الشرقيين يقتبسون منهُ ثلاث فوائد: تصويرهُ الصناعي ثمّ معرفة كتابتهِ القديمة وآخرًا الاطلاع على بعض تاريخ الدين الفينيقي

كنّا نشرنا هذا الاثر لاوّل مرّة منذ بضعة اشهر في مجلّة الكتابات والفنون في باريس (١ وشرحنا على عجالة الكتابة الفينيقيّة المرقومة عليه. فأورى تفسيرنا زناد الافكار وكتب بعض العلماء فيهِ ملحوظاتهم فرأينا ان نعودَ الى هذا البحث في مجلّة المشرق ونزيد كلامنا ايضاحًا. والاثر المذكور هو اليوم في باريس ولا شكّ انهُ سينظم في سلك الكتابات السامية (CIS) التي يُنشر هناك مجموعها

شائق من امر هذا الاثر انهُ وُجد في صور او بالحري في نواحي صور. ويزيد ذلك انهُ شبيه من حيث صورتهِ وكتابتهِ بالآثار المكتشفة سابقًا في تلك الجهات مباشرةً من صور الى البصّة

وقياس الاثر المذكور ١٧ سنتمترًا في علوهِ الجسالي وهو منحوت في حجر كلسي خشن نكتهُ صلد ويمثّل شبه عرش صغير. في جانبيهِ صورتا ابي الهول المصري جنّحتان وعلى مسند العرش المذكور تمثالان متشابهان تتوازى بجوانبهما وتتبادان في اعلاهما بشكل القوس. وعلى كل تمثال صورة بشريّة خفيفة النقر. وفي وجهَي الاثرين صورتي ابي الهول وتحت حافة العرش المنقورة على الطراز المصري قد نُقش نبات رمزي على شبه النقوش المصريّة الاشوريّة التي وُجدت سابقًا في ضواحي صور. وفي اسفل العرش صفيحة يستند اليها الاثر وعليه كتابة فينيقيّة نُقرت في الحجر نقرًا حسنًا

وبجمل هذا النقش الذي اثبتنا هنا صورته (طالع الصورة ١) غريب في بابهِ يدلّ على حذق في عاملهِ الّا انهُ خالٍ من الدقّة كثير الخلل لا يراعي قوانين الضبط والموازنة. وصورة ابي الهول لم يتقنها المصور وقد تلف رأسها لكنّ لجنحتها ظاهرة الشكل محكمة

(١ انظر Comptes rendus de l'Acad. des Inscript. et Belles-Lettres, 1903, p. 589.

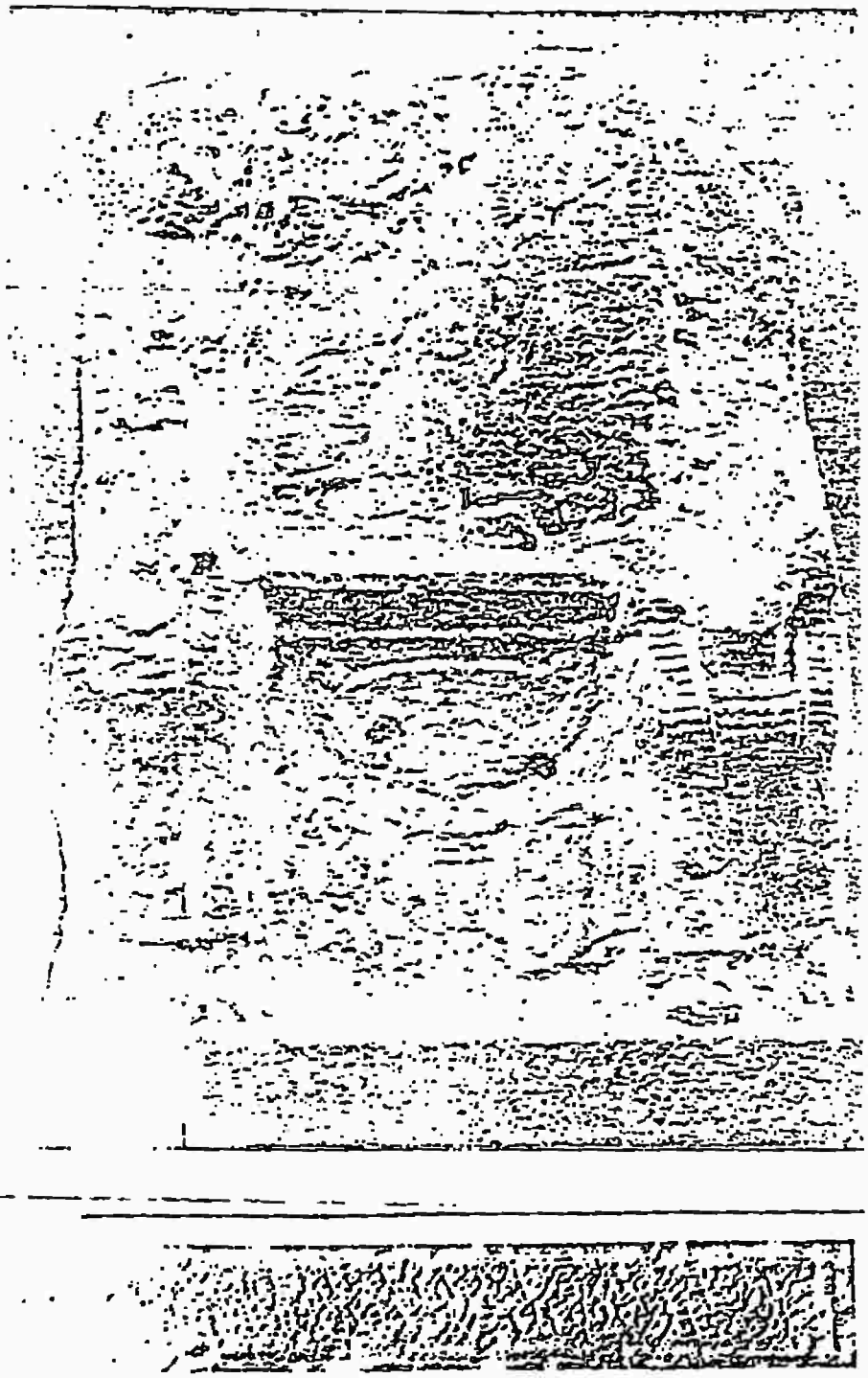

الصورة ١ عرش الالهة عشترت مع الكتابة المسمارية التي في اسفله

الريش. وفي نصب الشمال كبش ملقى بشبه الاطلي. وعلى رأينا انّ الأثر غير كامل تلف منهُ ما فوق النصبين كما يظهر بالمقابلة مع اثر آخر يشبههُ وهو كرسيّ صغير وقف عليهِ ريبان في لمّ العدد (١ وقطعهُ محفوظة في متحف اللوفر (٢ محطّمة الّا انّ المهندس البارع طوبوا (Thobois) قد سعى في تركيبها على اصلها واثبت صورة عملهِ في كتاب بعثة فينيقية (Pl. LIII.) فاذا هي غاية في الضبط والاحكام. واذا امعنت النظر في مسند هذا الكرسيّ وجدتَ فيهِ كرّةً مجنّحة في اعلاه. فلا ريبَ ان ذلك الاثر كان مزدانًا كأكثرهِ بنصب منحوت في نفس الصخر او بتمثال أحد الآلهة المركوز عليهِ ومثل هذا النقش شائع في العاديات الشرقيّة. فكثيرًا ما ترى عليها ولاسيما على التصوص الفينيقيّة صورة احد الآلهة جالسًا على عرش مع صورتي ابي الهول في جانبيهِ. وقد وجد صاحب السعادة حمدي بك في صيداء صورة هيكل صغير على الطراز المصريّ اثبتها في الكتاب الذي ألّفهُ مع المسيو ت. ريناخ في مدفن صيداء الملكي (٣ وهي تؤيد قولنا بنوع واضح. فانّ هناك صورتين لابي الهول تربضان داخل المعبد ومن مقدمتها تنتشر اجنحتها على شكل مسند لعرش صغير فيهِ مشكاة تمثال بعض الآلهة وفي كل هذه الآثار كان يلعب ابو الهول دورًا ثانويًا استعير من الرموز الاشوريّة والمقصود بهِ ان يُظلّل ويحرس النبات المقدّس الذي يصوَّر فيها (٤

وما يجعل لهذا الاثر الجديد شأنًا خصوصيًا انك ترى على عرش واحد نصبين يمثل احدهما تمثالًا الهيًا اي الالهة عشتروت والآخر صورة المتعبد لها التوسّل اليها بالكتابة (٥

*

حان بنا الآن ان نصف الاثر لنذكر الكتابة التي عليهِ. وهذه الكتابة تامة لم يسقط منها سوى قسم من آخر حرف السطر الاول وقد كنتُ اطلعت عليها قبل تنظيف الحجر من اوساخهِ فرجحت كون الحرف المطموس فيها شينًا فينيقيّة (ש) ثمّ رجحت كونهُ باء (ב) بعد تنظيف الحجر فقرأتُ على هذا النحو:

---

١) قد دعا ريبان وبعض المترجمين من بعدهِ هذا المكان باسم امّ العوامد. والصواب كما رأينا

٢) اطلب كتاب بعثة فينيقية ١٧٦ Mission de Phénicie, p.

٣) اطلب Une Nécropole royale à Sidon, p. 45

٤) راجع بعثة فينيقية لريبان (ص ٦٧١) ٥) طابع الصورتين (ص ١٦٨)

לרבתי עשתרת אשם אבי תקרב
אשם פי אנך עבדאשרה בן בדעבל

ونشرتها على هذا النمط :

لربتي عشترت التي (هي مصوّرة) في الداخل قُرّب
الذي لي (اي صورتي) انا عبدعشت بن بدعبل

يريد صاحب الكتابة انهُ قرّب للإلهة عشترت المثّلة في داخل الاثر صورتهُ تقرّبًا منها وتعبّدًا لها . على انَّ هذا التفسير أدّى بي الى القول بانَّ الفعل قرّب ورد هنا شاذًّا على صورة (תקרב) في وزن أفعل على خلاف ما عُرف حتى اليوم من الكتابات الفينيقيَّة التي يبتدئ فيها وزن أفعل بالبرد (א) اي الياء وكانوا يلفظونها كالهمزة المكسورة . فرجّحتُ قراءتي هذه مرّتين . ولما سافرتُ الى باريس حضرة الاب لويس جلابرت وحضر جلسة المكتب العلمي المنعقدة في ٥ تشرين الاوّل سنة ١٩٠٧ قرأ هناك ما سطّرتهُ بخصوص هذه الكتابة الجديدة مع مقالة اخرى قدّمها حضرتهُ باسمي عن كتابة يونانيَّة وُجدت حديثًا في دير الزور

لمَّا انا فما لبثتُ ان رحلتُ من بيروت الى فلسطين متوجّهًا الى القدس الشريف على طريق السامرة . واما في السامرة اذ خطرت على بالي الكتابة الفينيقيَّة واللفظة المشوعة نمل الياء (ב) فيها شيئًا فشيئًا وتراءت (ר) دالي (ד) فتكون اللفظة التي قرأتها « عقرب » (עקרב) هي في الحقيقة « عقدش » (עקדש) ومعناها القدس وليست الهاء سوى اداة التعريف في الفينيقيَّة . وعليه يكون معنى الكتابة هكذا :

لربّتي عشترت التي في داخل القدس (١
الذي لي (٢ انا عبدعشت بن بدعبل

ولكن ما امكنني اذ ذاك ان ابتّ الامر دون مراجعة رسم الطبع الذي اخذتهُ عن الحجر واتحقّق صحّة هذه القراءة الجديدة التي كانت لاحت لي في اوّل مشاهدتي لذلك الاثر قبل تنظيفهِ . فبقيتُ مرتابًا في تسييري الذي عرضتهُ على المجمع العلمي مرجّحًا

١) اي في داخل الاثر المقدّس
٢) اي الذي قدّمتهُ لها

لبطلانه لاسيما اني وجدتُ معنىً ثانياً للفظة «حقرب» (𐤇𐤒𐤓𐤁) على افتراض صحتها اذ يمكنها ان تكون اسماً مع ادلة التعريف بمعنى القربان والتقدمة .

فلمَّا بلغ بي السير الى القدس الشريف حيث اطلعني البريد على الجرائد والرسالات التي وردت باسمي في مدَّة سفري علمتُ بان العلَّامة الاثري الشهير كلرمون غانو لدى سماعه تفسير الكتابة الفينيقية المذكورة اعترض عليها وفسَّرها تفسيراً مباينًا لتفسيري فعلى رأيه انَّ صاحب الكتابة عبدبست قصد بها «تقدمة هذا العرش لعشتروت الساكنة في معبده الخاص» فنقلت الجرائد كلام الاثري المنوَّه به واردفتهُ بقولها انَّ للسيو كلرمون غانو يرى في هذه الكتابة دليلًا على «حضور عشتروت الحقيقي» في معبد عبدبست . لكن هذه الفقرات الواردة في الجرائد لم تُطلعني بالتمام على فكر ذلك المستشرق البارع ولم يمكني وقتئذ ان اكتب له لأعرض عليه رأيي الحديث اذ كان على وشك السفر الى مصر ليواصل حفرياته بجزيرة اسوان كما ذكرهُ في مقالتنا الاخيرة (المشرق ١١ : ١٢٦)

فلمَّا رجعتُ الى بيروت كان اوَّل فكري ان اعيد النظر في رسم الطبع الذي اخذتهُ عن الكتابة الحجريَّة فتحقَّقت انَّ اللفظة المشبوهة يمكن قراءتها كما قلتُ اعني «حقدش» (𐤇𐤒𐤃𐤔) وانَّ تفسيري الثاني هو الصحيح وليس من داعٍ يُوجب القول بما ارتآهُ السيو كلرمون غانو . وكتبتُ في ١٧ تشرين الثاني لاحد اعضاء المجمع العلميّ في باريس خطهُ بتفسيري الاخير الذي أعجبهُ لكنهُ لم يطلعهُ في المجمع العلميّ الَّا في جلسة ٢٤ كانون الثاني

ومنذ بضعة ايام قد وصل اخيرًا الى يدنا عدد نشرة المكتب العلمي الذي دوَّن فيه قول السيو كلرمون غانو (ص ٦٠٦) . فسرَّني كون جنابهِ استدلَّ على اللفظة المشبوهة فقرأ كما قرأتُ بعد مراجعة رسمي الخاص «حقدش» (𐤇𐤒𐤃𐤔) بدلًا من حقرب (𐤇𐤒𐤓𐤁) لكنَّهُ في ما خلا ذلك يوافق تفسيرهُ ما قلناهُ آنفًا عن الجرائد . وهذا تفسيرهُ معرَّبًا :

لربَّتي لعشتروت التي في داخل المقدس
الذي لي (اي الذي يخصني) انا عبدبست بن بدبل

فاخذ جناب المفسر لفظة «قدش» بمعناها الشائع في العبرانية في قول التوراة (𐤒𐤃𐤔

𐤒𐤃𐤔 𐤒𐤃𐤔𐤌) « قدس الاقداس » اي مقدس الهيكل . ٢ نتج من هذا التفسير ان الالهة عشترت كانت « حاضرة » حضوراً حقيقياً في داخل معبد (𐤁𐤉𐤕) عبدبست ولكنني كما قلت سابقاً لا ارى هذا التفسير موافقاً للواقع للاسباب الآتية :

١ً لانَّ الفينيقيين كانوا يطلقون لفظة القدس (𐤒𐤃𐤔) على اي معبد كان . اما العبرانيون فالمرجح عندي انهم كانوا يقصدون بلفظتي قُدس الاقداس (𐤒𐤃𐤔 𐤒𐤃𐤔𐤌) معنى مجازياً لا بل اطلقوا كغيرهم لفظة القدس (𐤒𐤃𐤔) على كلّ معبد (١

٢ً لا اعرف لقول المسيو كلرمون غانو عن حضور الالهة عشترت شخصياً داخل معبد عبدبست سنداً يقينياً . نعم اننا نعلم بان الوثنيين كانوا يجعلون لكل إله من آلهتهم مركزاً حقيقياً سواء كان في التماثيل او في الحجارة او في السماء او في الجحيم ولكن لم نجد اثراً حتى اليوم يثبت كون الوثنيين كانوا يتخذون المعابد لاسيما المعابد الخاصة لمقام احد الآلهة خارجاً عن تمثال او مذبح او حجر ينوب عنه في ذلك المعبد

٣ً انَّ لفظة 𐤁 (اي في الداخل) تدلُّ دلالةً مادّيةً اوضح على العرش نفسه حيث تُمثَّل صورة عشترت

٤ً كذلك لا نوافق جناب المسيو كلرمون غانو في ترجمة 𐤀𐤔 𐤆 بمعنى « الذي لي » اي يخصني . لانَّ عبدبست ما كان محتاجاً الى ايضاح هذا الامر في معبد خصوصيّ اصطنعهُ لبيته . ولو اراد ذلك لأتى بلفظة 𐤋 ضمير المتكلم وهو في الفينيقية الياء كبقيّة اللغات السامية فكتبها 𐤋𐤉 (قدسي) دون زيادة . وعلى رأينا انَّ للعبارتين اللفظتين معنى آخر خاصاً بهما في هذا الاثر فيريد بقوله « الذي قدّمتهُ » او « الذي نصبتهُ » او ايضاً « الذي صنعتهُ » على افتراض ان صاحب الكتابة هو ايضاً صانع الأثر والامر محتمل . وعلى كلّ حال ما كان عبدبست ليصرّح بذكر ملكيه للاثر بهو معبدهُ الخاصّ كما قال المسيو كلرمون غانو

٥ً ولن قيل بل كان هذا الاثر منصوباً في هيكل عشترت او غيرها لقينا مشكلاً آخر واعظم في شرح المسيو كلرمون غانو لانهُ يلزم القول بان عبدبست قدّم هذا الأثر كنذر للإلهة عشترت في هيكل مع أنَّ الإلهة ساكنة في معبدهِ

(١) اما 𐤁𐤌𐤒𐤌 𐤒𐤃𐤔 اي مقام القداسة فمن الواضح انهُ يوازي لفظة 𐤒𐤃𐤔 (القدس) لا غير

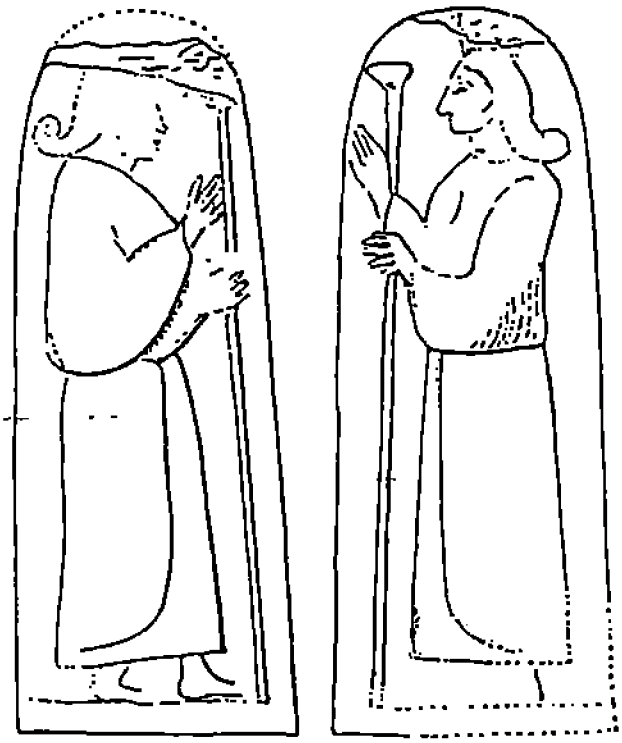

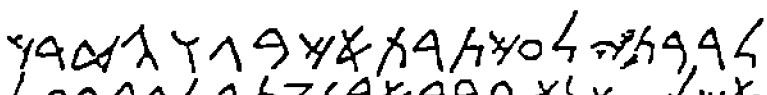

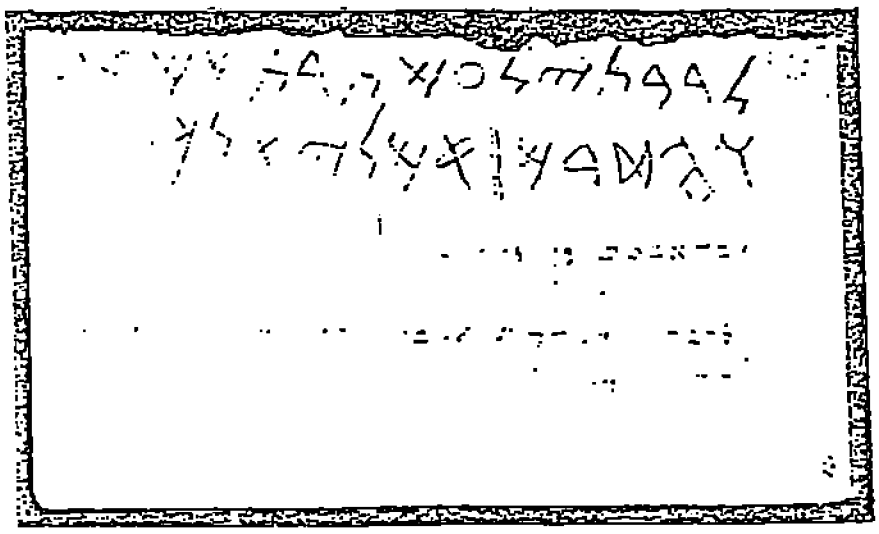

الصورة ٢ رسم النصين مكبرًا مع رسوم الكتابة

الخاص (١). وفي هذا الرقم من مشاكل ما لا يخفى. وهذا ما حمل المسيو غانو على القول بأنَّ الاثر بقي في معبد عبدبست الخاص وينسب الى الفينيقيين المتأخرين مذهباً دينيًّا جديدًا لم يُعرَفوا به اعني قولهم بوجود الآلهة شخصيًّا في فضاء معابدهم

٦ ولعلَّ للكتابة شرحاً آخر مخالفاً لشرحنا ولشرح جنابه. فانَّ اللفظة (لي) في الفينيقيَّة ثلاث معانٍ فمعناها «لي» كما في العربيَّة ثمَّ معناها «له» ثم «لها» فانَّ حرف اليود ' يدلُّ على المتكلم والغائب والغائبة على سواء. فمن المحتمل ان يكون معناها «لها» اي لعشترت ومن ثمَّ يكون التأويل:

لربَّتي عشترت التي في القدس
الذي لها. انا عبدبست بن يدبعل

وخلاصة المعنى انَّ عبدبست اهدى لربَّته عشترت هذا القدس اي هذا العرش الذي هو كرسيُّها او الذي اصطُنع لاجلها. فمعنى קדש العرش نفسهُ كما في الشرح المتقدم

وهذا التفسير اعرضهُ على العلماء دون القطع بصحَّته قصدي به ان ابين ما للكتابة من المعاني العديدة التي يمكن القول بها وانَّ رأي المسيو كلرمون غانو لا يجوز التسليم به الَّا اذا انشدَّت بقيَّة الابواب في وجه الشارح لانهُ ينسب كما قلت لفينيقيين رقيًّا دينيًّا غير معهود

وفيما انا اسطِّر هذه المقالة ورد عليَّ كتاب من باريس يفيدني بان الاثري الشهير المسيو فيليب برجه (Ph. Berger) عاد الى ذكر كتابتنا في جمعيَّة باريس العلميَّة وعرض على اعضائه شرحاً شبيهاً بشرحنا. هذا ما يلقني دون زيادة في الافادة

ذلك ولا نختم مقالتنا دون ذكر اكبر مشكل يمكن ان يُعترض به على تفسيرنا. فلقائل ان يقول ان تفسير الكتابة يستدعي تأخير اسم الاشارة على اسم القدس فيقال «لربَّتي عشترت التي في داخل [هذا] القدس ...» واسم الاشارة في الفينيقيَّة هو حرف الزاي (ז) يؤخرونهُ على الاسم اعني هنا على (קדשת)

انا نسلم بقوَّة هذا الاعتراض لكنهُ يشمل تفسيرنا وتفسير المسيو كلرمون غانو معاً. ويُستنتج منهُ انَّ الاثر المذكور لم يُجعل في معبد صاحب الكتابة ولكن في موضع آخر اي في بعض الهياكل على خلاف ما اثبتنا

(١) وهذا القول يصحُّ سواء كان الجذر المذكور في داخل هيكل الآلهة او في حرمها لبس في بيت عبدبست

فنجيب على هذا الاعتراض بقولنا انَّ الكتابة كما نرى اليوم خاليـة من اسم الاشارة فاني فجعتها فحصاً مدقّقاً قبل تنظيفها وبعده فلم اقف على غير ما وصفت في كلامي السابق لكنَّ رأيي الخاص يحملني على القول بانَّ اسم الاشارة سواء كان وحده (ז) او مع اداة التعريف (הז) كان مرقوماً على الحجر وانما طُمس كما طُمس نصف حرف الشين (ש) في كلمة «هقدش». ومما يؤيد رأيي انَّ للكتابة في جهة الشمال هامشاً اوسع منهُ في جهة اليمين وهناك مكان كافٍ لزيادة حرف او حرفين: ولا مانع من وضعهما في آخر السطر لأنَّ الفينيقيين في كتاباتهم كانوا عادةً يكتبون السطر السابق دون ميلان نزول السطر الذي يليه. وعليه نظنُّ انَّ الكتابة الاصليَّة كانت تتضمَّن اسم الاشارة اي «هذا القدس»

*

وكنَّا نودّ ان نتحرَّ هذه المجالة بعض الملحوظات في ديانة الفينيقيين استناداً الى الكتابة السابق ذكرها لكنَّنا خوفاً من الاطالة السئمة نوجز كلامنا في ذلك الى فرصة أخرى بعد ذكر تاريخها وبيانه. ملحوظ في احد آراء السير كلرمون غانو

اما تاريخ هذا الاثر فانهُ سابق لعهد المسيح بلا مرية. وهو يتراوح بين القرن الثاني والقرن الرابع قبل الميلاد وهذا فقط من القرن الثاني لانَّ صورة حرف القاف (ק) فيه حديثة فهي تشبه القاف المرقومة على بعض النقود الفينيقيـة في ارواد التي هي من القرن الثاني (١). ومن المحتمل ان الاثر اقدم من ذلك يرتقي الى القرن الثالث او الرابع قبل المسيح حتى عهد الاسكندر ذي القرنين

اما ما اردنا ان نستلفت اليه النظر من آراء العلامة كلرمون غانو غير ما حتم به مقالتهُ في صدد الاثر المصوري. قال جنابهُ انَّ هذا الأثر جاء مؤيداً لمذهب ذهب اليه سابقاً في العرش والمذبح عند القدماء. وكان حضرة الكاتب اثبت في بحوثه الاثري (RAO, IV, 247) بانَّ الشعوب السامية كغيرها من الامم الوثنيَّة كانت تعتبر في بعض الاوقات العرش الذي هو كرسي احد الآلهة بمثابة المذبح الذي يُقرَّب عليه القرابين لذلك الاله. وربما اعتبروا هذا المذبح الذي كان عرشاً يجلس عليه الاله

١) راجع بحثنا المنشور في المشرق (٨: ٢٣٣) وهو كتابة فينيقية وجدت في جزيرة مالطة (CIS, I. 123: ومنسبة الى اهل صيد

ويُظهر فيه التوسّلات لعابديه كنفس الاله فأقاموا الذبح مقام الاله . ومما يدعم هذا الرأي انهم وجدوا في نواحي حلب كتابة مجسومة « للاله مذبح » . فرأى المسيو كلرمون غانو في اثرنا الجديد سنداً جديداً لهذا المذهب

(قلنا) ان صحّ هذا الرأي اعني قيام العرش مقام الذبح فما بال المسيو كلرمون غانو خالفهُ بعض المخالفة اذ جعل حضور الالهة ليس في نفس الاثر لكن في معبد جديست الخاص . فان كانت الالهة عشتروت تتّخذ العرش كذبحها فيكون هذا العرش ايضاً محل مقامها وليس في معبد جديست الخاص ومن ثمّ يجب تفسير لفظة « في داخل القدس » (בתוך הקדש) بمعنى وجود الالهة في ضمن الاثر وليس في معبد آخر

هذا ما رأينا تدوينهُ اليوم وسنعود ان شاء الله الى هذا البحث . وكفى بقولنا دليلاً على ما لاثرنا من الخطر لمعرفة الديانة الفينيقيّة وحسبي مواطنينا يلقون آثاراً أخرى تزيدنا علماً باحوال هذه البلاد في سالف الاعصار (١

البارون فيكتور فون روزن

المستشرق الروسي العلّامة الشهير

بقلم الاستاذ الاديب انطون خشّاب
مدرّس اللغة العربية الحديثة في كليّة بطرسبرج الامبراطورية

في صباح النهار الثالث والعشرين من شهر كانون الثاني غربي قد انتقل الى رحمة تعالى المستشرق الروسي الشهير عضو الاكاديميّة العلمية الامبراطورية الروسية واستاذ اللغة العربية في قسم اللغات الشرقية بكلية بطرسبرج البارون فيكتور فون روزن اثر علّة لم تمهلهُ الّا قليلاً وكان الاحتفال بجنازته في نهار السادس والعشرين في كنيسة الكليّة الامبراطوريّة فشيّعهُ الى مدفنه جمعٌ غفير من العلماء واعظم الاعيان

(١) قد قطعنا مذكّرة سفرنا وهذه المقالة تمت الطبع فوجدنا ان ما رسمناه فيما من الكتابة قبل تنظيفها الكامل يُظهر جليّاً وجود حرف الثين التيمّني في آخر السطر الاول . ولذا قطعنا من دفترنا الصفحة الموجود فيها الرسم المذكور وهو بقلم الرصاص فطبعناه مع باقي الصاوير لزيادة الايضاح (طالع الصورة ٢)